31-سورة لقمان بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الٓمٓ ﴿١﴾ تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱلۡكِتَٰبِ ٱلۡحَكِيمِ ﴿٢﴾ هُدٗى وَرَحۡمَةٗ لِّلۡمُحۡسِنِينَ ﴿٣﴾ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ
وَيُؤۡتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُم بِٱلۡأٓخِرَةِ هُمۡ يُوقِنُونَ ﴿٤﴾ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدٗى مِّن رَّبِّهِمۡۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ﴿٥﴾
وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشۡتَرِي لَهۡوَ ٱلۡحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ بِغَيۡرِ عِلۡمٖ وَيَتَّخِذَهَا هُزُوًاۚ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ عَذَابٞ
مُّهِينٞ ﴿٦﴾ وَإِذَا تُتۡلَىٰ عَلَيۡهِ ءَايَٰتُنَا وَلَّىٰ مُسۡتَكۡبِرٗا كَأَن لَّمۡ يَسۡمَعۡهَا كَأَنَّ فِيٓ أُذُنَيۡهِ وَقۡرٗاۖ فَبَشِّرۡهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ
﴿٧﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُمۡ جَنَّٰتُ ٱلنَّعِيمِ ﴿٨﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَاۖ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقّٗاۚ
وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ﴿٩﴾ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيۡرِ عَمَدٖ تَرَوۡنَهَاۖ وَأَلۡقَىٰ فِي ٱلۡأَرۡضِ رَوَٰسِيَ أَن تَمِيدَ بِكُمۡ
وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٖۚ وَأَنزَلۡنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ فَأَنۢبَتۡنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوۡجٖ كَرِيمٍ ﴿١٠﴾
هَٰذَا خَلۡقُ ٱللَّهِ فَأَرُونِي مَاذَا خَلَقَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦۚ بَلِ ٱلظَّٰلِمُونَ فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ ﴿١١﴾

(الٓمٓ) 1 (تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱلۡكِتَٰبِ ٱلۡحَكِيمِ)آياته محكمة صدرت من حكيم خبير.

من إحكامها:-1-أنها جاءت بأجل الألفاظ و أفصحها، و أبينها((الدالة على أجل المعاني و أحسنها)))

2-أنها محفوظة من التغيير و التبديل، و الزيادة و النقص، و التحريف.

3-أن جميع ما فيها من الأخبار السابقة و اللاحقة، و الأمور الغيبية كلها،مطابقة للواقع، مطابق لها الواقع

4-أنها ما أمرت بشيء، إلا و هو خالص المصلحة، أو راجحها،و لا نهت عن شيء، إلا و هو خالص المفسدة أو راجحها و كثيرا ما يجمع بين الأمر بالشيء،مع ذكر حكمته فائدته،و النهي عن الشيء،مع ذكر مضرته.

5-أنها جمعت بين الترغيب و الترهيب،و الوعظ البليغ،الذي تعتدل به النفوس الخيرة و تحتكم،فتعمل بالحزم.

6-أنك تجد آياته المتكررة، كالقصص،و الأحكام و نحوها،قد اتفقت كلها و تواطأت، فليس فيها تناقض 2

(هُدٗى)لهم، يهديهم إلى الصراط المستقيم، و يحذرهم من طرق الجحيم،

(وَرَحۡمَةٗ)لهم تحصل به السعادة في الدنيا و الآخرة،و الخير و الثواب و الفرح و يندفع عنهم الضلال

(لِّلۡمُحۡسِنِينَ ﴿٣﴾ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُم بِٱلۡأٓخِرَةِ هُمۡ يُوقِنُونَ)ثم وصف المحسنين بالعلم التام:-
و هو اليقين الموجب للعمل و الخوف من عقاب اللّه، فيتركون معاصيه،و وصفهم بالعمل،

و خص من العمل، عملين فاضلين:-○الصلاة المشتملة على:-

1-الإخلاص 2-و مناجاة اللّه تعالى 3-و التعبد العام للقلب و اللسان و الجوارح المعينة،على سائر الأعمال

○و الزكـــــاة التي:-1-تزكي صاحبها من الصفات الرذيلة،2-و تنفع أخاه المسلم، و تسد حاجته،
و يبين بها أن العبد يؤثر محبة اللّه على محبته للمال،فيخرجه محبوبه من المال،لما هو أحب إليه و هو رضا الله

4فـــــ(أُوْلَٰٓئِكَ) هم المحسنون الجامعون بين العلم التام، و العمل

(عَلَىٰ هُدٗى)عظيم كما يفيده التنكير، و ذلك الهدى حاصل لهم، و واصل إليهم

(مِّن رَّبِّهِمۡۖ)الذي لم يزل يربيهم بالنعم؛ و يدفع عنهم النقم. و هذا الهدى الذي أوصله إليهم، من تربيته الخاصة بأوليائه، و هو أفضل أنواع التربية

(وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ)الذين أدركوا رضا ربهم، و ثوابه الدنيوي و الأخروي، و سلموا من سخطه و عقابه،
و ذلك لسلوكهم طريق الفلاح، الذي لا طريق له غيرها 5

(وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن)هو محروم مخذول (يَشۡتَرِي)يختار و يرغب رغبة من يبذل الثمن في الشيء.

(لَهۡوَ ٱلۡحَدِيثِ)الأحاديث الملهية للقلوب، الصادَّة لها عن أجلِّ مطلوب-نزلت فِي الْغِنَاءِ وَ الْمَزَامِيرِ.

فدخـــــل في هـــــذا :-

1-كل كلام محرم، و كل لغو، و باطل،و هذيان من الأقوال المرغبة في الكفر، و الفسوق، و العصيان،
2-و من أقوال الرادين على الحق، المجادلين بالباطل ليدحضوا به الحق،و من غيبة، و نميمة، و كذب، و شتم، و سب، و من غناء و مزامير شيطان،
3-و من الماجريات الملهية، التي لا نفع فيها في دين و لا دنيا.فهذا الصنف من الناس،يشتري لهو الحديث، عن هدي الحديث

(لِيُضِلَّ) الناس (عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ بِغَيۡرِ عِلۡمٖ)بعدما ضل بفعله، أضل غيره،لأن الإضلال، ناشئ عن الضلال.
و إضلاله في هذا الحديث؛ صده عن الحديث النافع، و العمل النافع،و الحق المبين، و الصراط المستقيم.

(وَيَتَّخِذَهَا هُزُوًاۚ)ا يتم له هذا،حتى يقدح في الهدى و الحق و يتخذ آيات اللّه هزوا و يسخر بها،و بمن جاء بها،

○فإذا جمع بين مدح الباطل و الترغيب فيه، و القدح في الحق، و الاستهزاء به و بأهله، أضل من لا علم عنده و خدعه بما يوحيه إليه، من القول الذي لا يميزه ذلك الضال، و لا يعرف حقيقته.

(أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ عَذَابٞ مُّهِينٞ)بما ضلوا و أضلوا-كَمَا اسْتَهَانُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَ سَبِيلِهِ،أُهِينُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِي الْعَذَابِ الدَّائِمِ المستمر 6لهذا قال (وَإِذَا تُتۡلَىٰ عَلَيۡهِ ءَايَٰتُنَا)ليؤمن بها و ينقاد لها،

(وَلَّىٰ مُسۡتَكۡبِرٗا)أدبر إدبار مستكبر عنها، رادٍّ لها،و لم تدخل قلبه و لا أثرت فيه، بل أدبر عنها

(كَأَن)بل (لَّمۡ يَسۡمَعۡهَا كَأَنَّ فِيٓ أُذُنَيۡهِ وَقۡرٗاۖ)صمما لا تصل إليه الأصوات؛ فهذا لا حيلة في هدايته.

***هَذَا الْمُقْبِلُ عَلَى اللَّهْوِ وَ اللَّعِبِ وَ الطَّرَبِ، إِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِ الْآيَاتُ الْقُرْآنِيَّةُ:-

1-وَلَّى عَنْهَا وَ أَعْرَضَ وَ أَدْبَرَ 2-و تَصَامٌ وَ مَا بِهِ مِنْ صَمَم، كَأَنَّهُ مَا يَسْمَعُهَا لِأَنَّهُ يَتَأَذَّى بِسَمَاعِهَا

(فَبَشِّرۡهُ)بشارة تؤثر في قلبـه:- الحزن و الغم و في بشرته:- السوء و الظلمة و الغبرة.

(بِعَذَابٍ أَلِيمٖ)يَوْمَ الْقِيَامَةِ يُؤْلِمُهُ، كَمَا تَأَلَّمَ بِسَمَاعِ كِتَابِ اللَّهِ وَ آيَاتِه.

○مؤلم لقلبه؛ و لبدنه؛ لا يقادر قدره؛ و لا يدرى بعظيم أمره،و هذه بشارة أهل الشر، فلا نِعْمَتِ البشارة 7

(إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ)جمعوا بين عبادة الباطن بالإيمان، و الظاهر بالإسلام، و العمل الصالح.

(لَهُمۡ جَنَّٰتُ ٱلنَّعِيمِ)بشارة لهم بما قدموه، و قرى لهم بما أسلفوه 8(خَٰلِدِينَ فِيهَاۖ)

في جنات النعيم، نعيم القلب و الروح، و البدن (وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقّٗاۚ)لا يمكن أن يخلف، و لا يغير، و لا يتبدل.

(وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ)كامل العزة، كامل الحكمة 9من عزته و حكمته:-وفق من وفق،و خذل من خذل،

بحسب ما اقتضاه علمه فيهم و حكمته. يتلو تعالى على عباده، آثارا من آثار قدرته، و بدائع من بدائع حكمته،

و نعما من آثار رحمته فقال:-(خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ)السبع على عظمها، و سعتها، و كثافتها، و ارتفاعها الهائل.

(بِغَيۡرِ عَمَدٖ تَرَوۡنَهَاۖ)ليس لها عمد، و لو كان لها عمد لرئيت و إنما استقرت و استمسكت، بقدرة اللّه تعالى.

(وَأَلۡقَىٰ فِي ٱلۡأَرۡضِ رَوَٰسِيَ)أي: جبالا عظيمة، ركزها في أرجائها و أنحائها،

(أَن)لئلا(تَمِيدَ)تضطرب(بِكُمۡ)فلولا الجبال الراسيات لمادت الأرض،و لما استقرت بساكنيها.

(وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٖۚ)نشر في الأرض الواسعة، من جميع أصناف الدواب،التي هي مسخرة لبني آدم،

و لمصالحهم، و منافعهم.

(وَأَنزَلۡنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ)مباركا(فَأَنۢبَتۡنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوۡجٖ كَرِيمٍ)المنظر، نافع مبارك10

(هَٰذَا)خلق العالم العلوي و السفلي، من جماد، و حيوان،و سَوْقِ أرزاق الخلق إليهم

(خَلۡقُ ٱللَّهِ)وحده لا شريك له، كل مقر بذلك حتى أنتم يا معشر المشركين.

(فَأَرُونِي مَاذَا خَلَقَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦ)الذين جعلتموهم له شركاء، تدعونهم و تعبدونهم، يلزم على هذا:-

أن يكون لهم خلق كخلقه،و رزق كرزقه

(بَلِ ٱلظَّٰلِمُونَ فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ)جَلِيٍّ واضح حيث عبدوا من لا يملك نفعا و لا ضرا و لا موتا و لا حياة

و لا نشورا،و تركوا الإخلاص للخالق الرازق المالك لكل الأمور 11

وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَا لُقۡمَٰنَ ٱلۡحِكۡمَةَ أَنِ ٱشۡكُرۡ لِلَّهِۚ وَمَن يَشۡكُرۡ فَإِنَّمَا يَشۡكُرُ لِنَفۡسِهِۦۖ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٞ
(١٢) وَإِذۡ قَالَ لُقۡمَٰنُ لِٱبۡنِهِۦ وَهُوَ يَعِظُهُۥ يَٰبُنَيَّ لَا تُشۡرِكۡ بِٱللَّهِۖ إِنَّ ٱلشِّرۡكَ لَظُلۡمٌ عَظِيمٞ (١٣)
وَوَصَّيۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيۡهِ حَمَلَتۡهُ أُمُّهُۥ وَهۡنًا عَلَىٰ وَهۡنٖ وَفِصَٰلُهُۥ فِي عَامَيۡنِ أَنِ ٱشۡكُرۡ لِي وَلِوَٰلِدَيۡكَ
إِلَيَّ ٱلۡمَصِيرُ (١٤) وَإِن جَٰهَدَاكَ عَلَىٰٓ أَن تُشۡرِكَ بِي مَا لَيۡسَ لَكَ بِهِۦ عِلۡمٞ فَلَا تُطِعۡهُمَاۖ وَصَاحِبۡهُمَا فِي
ٱلدُّنۡيَا مَعۡرُوفٗاۖ وَٱتَّبِعۡ سَبِيلَ مَنۡ أَنَابَ إِلَيَّۚ ثُمَّ إِلَيَّ مَرۡجِعُكُمۡ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ (١٥)
يَٰبُنَيَّ إِنَّهَآ إِن تَكُ مِثۡقَالَ حَبَّةٖ مِّنۡ خَرۡدَلٖ فَتَكُن فِي صَخۡرَةٍ أَوۡ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ أَوۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ يَأۡتِ بِهَا ٱللَّهُۚ
إِنَّ ٱللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٞ (١٦) يَٰبُنَيَّ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ وَأۡمُرۡ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَٱنۡهَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَٱصۡبِرۡ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَۖ
إِنَّ ذَٰلِكَ مِنۡ عَزۡمِ ٱلۡأُمُورِ (١٧) وَلَا تُصَعِّرۡ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمۡشِ فِي ٱلۡأَرۡضِ مَرَحًاۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخۡتَالٖ فَخُورٖ
(١٨) وَٱقۡصِدۡ فِي مَشۡيِكَ وَٱغۡضُضۡ مِن صَوۡتِكَۚ إِنَّ أَنكَرَ ٱلۡأَصۡوَٰتِ لَصَوۡتُ ٱلۡحَمِيرِ (١٩)

(وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَا لُقۡمَٰنَ ٱلۡحِكۡمَةَ أَنِ ٱشۡكُرۡ لِلَّهِۚ)

*كَانَ لُقْمَانُ مِنْ سُودَانِ مِصْرَ ذَا مَشَافِرَ( ) أَعْطَاهُ اللَّهُ الْحِكْمَةَ وَ مَنَعَهُ النُّبُوَّةَ.

يخبر تعالى عن امتنانه على عبده الفاضل لقمان، بالحكمة:–

و هي العلم بالحق على وجهه و حكمته فهي العلم بالأحكام،ومعرفة ما فيها من الأسرار و الإحكام،

و أما الحكمة:–فهي مستلزمة للعلم، بل و للعمل،و لهذا فسرت الحكمة بالعلم النافع، و العمل الصالح.

(وَمَن يَشۡكُرۡ فَإِنَّمَا يَشۡكُرُ لِنَفۡسِهِۦۖ)شكر الشاكرين، يعود نفعه عليهم،

(وَمَن كَفَرَ)فلم يشكر اللّه، عاد وبال ذلك عليه.

(فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ)و الله غني عنه(حَمِيدٞ)فيما يقدره و يقضيه، على من خالف أمره 12

(وَإِذۡ قَالَ لُقۡمَٰنُ لِٱبۡنِهِۦ وَهُوَ يَعِظُهُۥ يَٰبُنَيَّ لَا تُشۡرِكۡ بِٱللَّهِۖ):–أو قال له قولا به يعظه بالأمر،و النهي، المقرون بالترغيب و الترهيب،فأمره بالإخلاص، و نهاه عن الشرك، و بيّن له السبب في ذلك فقال:–

(إِنَّ ٱلشِّرۡكَ لَظُلۡمٌ عَظِيمٞ)كونه عظيما أنه لا أفظع و أبشع ممن سَوَّى المخلوق من تراب بمالك الرقاب

معجم اللغة العربية المعاصرة :مِشْفَر [مفرد]:ج مَشافِرُ:شفة البعير الغليظة
"له شفتان كمِشْفَري البعير".

***صحيح البخاري32 - عَنْ عَبْدِ اللَّهِ﷛ قَالَ: لَمَّا نَزَلَتْ: {الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ} [الأنعام: 82]

قَالَ أَصْحَابُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ: أَيُّنَا لَمْ يَظْلِمْ؟ فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: {إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ} [لقمان: 13] 13

(وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ)عهدنا إليه، و جعلناه وصية عنده، سنسأله عن القيام بها،و هل حفظها أم لا؟

*لاحظ أخي الفاضل تحول في الخطاب بعد ذلك:

قال (ووصينا)فلقمان يخاطب ولده و يعظه و لما جاء الأمر ببر الوالدين لا يليق بالوالد أن يقول لولده:-

برني و اعطف عليَّ و تحنن عليَّ و استوصِ بي فالوالد أجل من أن يطلب هذا الطلب و أرفع( )

(بِوَٰلِدَيْهِ)و قلنا له:(أَنِ ٱشْكُرْ لِي)بالقيام بعبوديتي، و أداء حقوقي،و أن لا تستعين بنعمي على معصيتي.

(وَلِوَٰلِدَيْكَ)بالإحسان إليهما بـــــــــــــــ:–

1–القول اللين، و الكلام اللطيف، 2–و الفعل الجميل،3–و التواضع لهما، وإكرامهما و إجلالهما،

4–و القيام بمئونتهما5–واجتناب الإساءة إليهما من كل وجه، بـــالقول و الفعل. فوصيناه بهذه الوصية،

و أخبرناه أن (إِلَيَّ ٱلْمَصِيرُ)أي: سترجع أيها الإنسان إلى من وصاك، و كلفك بهذه الحقوق،

فيسألك: هل قمت بها، فيثيبك الثواب الجزيل؟ أم ضيعتها، فيعاقبك العقاب الوبيل؟ 14

ثم ذكر السبب الموجب لبر الوالدين في الأم

فقال:(حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ)مشقة على مشقة، فلا تزال تلاقي المشاق،من حين يكون نطفة، من الوحم،

و المرض،و الضعف، و الثقل،و تغير الحال، ثم وجع الولادة، ذلك الوجع الشديد.

(وَفِصَٰلُهُۥ فِي عَامَيْنِ)و فِطامه عن الرضاعة في مدة عامين–و هو ملازم لحضانة أمه و كفالتها و رضاعها،

أفما يحسن بمن تحمل على ولده هذه الشدائد، مع شدة الحب أن يؤكد على ولده، و يوصي إليه بتمام الإحسان إليه؟

وَ مِنْ هَاهُنَا اسْتَنْبَطَ ابْنُ عَبَّاسٍ وَ غَيْرُهُ مِنَ الْأَئِمَّةِ أَنَّ أَقَلَّ مُدَّةِ الْحَمْلِ سِتَّةُ أَشْهُرٍ لِأَنَّهُ قَالَ تَعَالَى فِي الْآيَةِ الْأُخْرَى:{وَحَمْلُهُ وَفِصَالُهُ ثَلاثُونَ شَهْرًا} [الْأَحْقَافِ: 15] .

(وَإِن جَٰهَدَاكَ)اجتهد والداك (عَلَىٰٓ أَن تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ)

و لا تظن أن هذا داخل في الإحسان إليهما، لأن حق اللّه، مقدم على حق كل أحد،

و « لا طاعة لمخلوق، في معصية الخالق »

و لم يقل: « وإن جاهداك على أن تشرك بي ما ليس لك به علم فعقهما »

من كتاب فقه تربية الابناء للشيخ مصطفى العدوى

بل قال: (فَلَا تُطِعْهُمَا)بالشرك، وأما برهما، فاستمر عليه و لهذا قال: (وَصَاحِبْهُمَا فِي ٱلدُّنْيَا مَعْرُوفًا)
أي: صحبة إحسان إليهما بالمعروف،و أما اتباعهما وهما بحالة الكفر و المعاصي، فلا تتبعهما.

(وَٱتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ)و هم المؤمنون باللّه،وملائكته وكتبه، ورسله،
المستسلمون لربهم، المنيبون إليه. و اتباع سبيلهم، أن يسلك مسلكهم في الإنابة إلى اللّه،
التي هي انجذاب دواعي القلب وإراداته إلى اللّه، ثم يتبعها سعي البدن، فيما يرضي اللّه، ويقرب منه.

(ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ)الطائع و العاصي، و المنيب، و غيره

(فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ)فلا يخفى على اللّه من أعمالهم خافية 15

(يَٰبُنَيَّ إِنَّهَآ إِن تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ)التي هي أصغر الأشياء و أحقرها-
إِنَّ الْمَظْلَمَةَ أَوِ الْخَطِيئَةَ لَوْ كَانَتْ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ.

(فَتَكُن فِي صَخْرَةٍ)في وسطها(أَوْ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ أَوْ فِي ٱلْأَرْضِ)في أي جهة من جهاتهما

(يَأْتِ بِهَا ٱللَّهُ)لسعة علمه، و تمام خبرته و كمال قدرته-أَحْضَرَهَا اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حِينَ يَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ،
وَ جَازَى عَلَيْهَا إِنْ خَيْرًا فَخَيْرٌ، وَإِنْ شَرًّا فَشَرٌّ.

و لهذا قال:(إِنَّ ٱللَّهَ لَطِيفٌ)الْعَلَمِ، فَلَا تَخْفَى عَلَيْهِ الْأَشْيَاءُ وَإِنْ دَقت وَلَطُفَتْ وَتَضَاءَلَتْ

(خَبِيرٌ)بِدَبِيبِ النَّمْلِ فِي اللَّيْلِ الْبَهِيمِ-لطف في علمه و خبرته حتى اطلع على البواطن و الأسرار و الخفايا 16
○المقصود من هذا،الحث على مراقبة اللّه،والعمل بطاعته،مهما أمكن،و الترهيب من عمل القبيح،قَلَّ أو كَثُرَ.
***و أَنَّ هَذِهِ الْحَبَّةَ فِي حَقَارَتِهَا لَوْ كَانَتْ دَاخِلَ صَخْرَةٍ،فَإِنَّ اللَّهَ سَيُبْدِيهَا وَ يُظْهِرُهَا بِلَطِيفِ عِلْمِهِ،

(يَٰبُنَيَّ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ)حثه عليها، و خصها لأنها أكبر العبادات البدنية–بِحُدُودِهَا وَ فُرُوضِهَا وَ أَوْقَاتِهَا،

(وَأْمُرْ بِٱلْمَعْرُوفِ وَٱنْهَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ)بِحَسَبِ طَاقَتِكِ وَجُهْدِكَ–و ذلك يستلـــــزم:–
1–العلم بالمعروف ليأمر به، 2–و العلم بالمنكر لينهى عنه.
و الأمر بما لا يتم الأمر بالمعروف،و النهي عن المنكر إلا به مـــن:–الـــرفق، والصبـــــر،
وقد صرح به في قوله:–(وَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَ)عَلِمَ أَنَّ الْآمِرَ بِالْمَعْرُوفِ وَ النَّاهِيَ عَنِ الْمُنْكَرِ،
لَا بُدَّ أَنْ يَنَالَهُ مِنَ النَّاسِ أَذًى، فَأَمَرَهُ بِالصَّبْرِ-و من كونه فاعلا لما يأمر به، كافًّا لما ينهى عنه،
فتضمـــــن هــــــذا:–

1–تكميل نفسه بـــــفعل الخير و ترك الشر 2–و تكميل غيره بذلك، بـــــأمره و نهيــــــه.

و لما علم أنه لا بد أن يبتلى إذا أمر و نهى و أن في الأمر والنهي مشقة على النفوس، أمره بالصبر على ذلك

فقال:–(وَٱصۡبِرۡ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَۖ إِنَّ ذَٰلِكَ)الذي وعظ به لقمان ابنه

(مِنۡ عَزۡمِ ٱلۡأُمُورِ)من الأمور التي يعزم عليها، و يهتم بها، و لا يوفق لها إلا أهل العزائم17

(وَلَا تُصَعِّرۡ خَدَّكَ لِلنَّاسِ)لا تُمِلْهُ وتعبس بوجهك الناس، تكبُّرًا عليهم، و تعاظما.

(وَلَا تَمۡشِ فِي ٱلۡأَرۡضِ مَرَحًاۖ)بطرا، فخرا بالنعم، ناسيا المنعم، معجبا بنفسك.

(إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخۡتَالٖ)في نفسه و هيئته و تعاظمه(فَخُورٖ)بقوله-أَيْ عَلَى غَيْرِهِ 18

(وَٱقۡصِدۡ فِي مَشۡيِكَ)امش متواضعا مستكينالامَشْيَ البطر والتكبر، و لا مشي التماوت.

(وَٱغۡضُضۡ مِن صَوۡتِكَۚ)أدبـــــا مع الناس و مع اللّه-لَا تُبَالِغْ فِي الْكَلَامِ،وَ لَا تَرْفَعْ صَوْتَكَ فِيمَا لَا فَائِدَةَ فِيهِ؛

وَ لِهَذَا قَالَ تَعَالَى: (إِنَّ أَنكَرَ ٱلۡأَصۡوَٰتِ)أي أفظعها و أبشعها(لَصَوۡتُ ٱلۡحَمِيرِ) 19

أَلَمْ تَرَوْاْ أَنَّ ٱللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُۥ ظَٰهِرَةً وَبَاطِنَةً
وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِي ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَٰبٍ مُّنِيرٍ ﴿٢٠﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّبِعُواْ
مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُواْ بَلْ نَتَّبِعُ مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآۚ أَوَلَوْ كَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ يَدْعُوهُمْ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ ﴿٢١﴾
۞وَمَن يُسْلِمْ وَجْهَهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰۗ وَإِلَى ٱللَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ ﴿٢٢﴾
وَمَن كَفَرَ فَلَا يَحْزُنكَ كُفْرُهُۥٓۚ إِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ فَنُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿٢٣﴾
نُمَتِّعُهُمْ قَلِيلًا ثُمَّ نَضْطَرُّهُمْ إِلَىٰ عَذَابٍ غَلِيظٍ ﴿٢٤﴾ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ
لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُۚ قُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٥﴾ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِۚ
إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْغَنِيُّ ٱلْحَمِيدُ ﴿٢٦﴾ وَلَوْ أَنَّمَا فِي ٱلْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَٰمٌ وَٱلْبَحْرُ يَمُدُّهُۥ
مِنۢ بَعْدِهِۦ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَّا نَفِدَتْ كَلِمَٰتُ ٱللَّهِۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٧﴾
مَّا خَلْقُكُمْ وَلَا بَعْثُكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ وَٰحِدَةٍۗ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعُۢ بَصِيرٌ ﴿٢٨﴾

يمتن تعالى على عباده بنعمه، و يدعوهم إلى شكرها و رؤيتها؛و عدم الغفلة عنها فقال:-

(أَلَمْ تَرَوْاْ)أي: تشاهدوا و تبصروا بأبصاركم و قلوبكم،

(أَنَّ ٱللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ)من الشمس و القمر و النجوم، كلها مسخرات لنفع العباد.

(وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ)من الحيوانات و الأشجار و الزروع، و الأنهار و المعادن و نحوها

(وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ)عمّكم و غمركم(نِعَمَهُۥ ظَٰهِرَةً وَبَاطِنَةً)الظاهرة و الباطنة التي نعلم بها و التي تخفى علينا، نعم الدنيا، و نعم الدين، حصول المنافع، و دفع المضار،

فوظيفتكـــــــــــــم :-

1-أن تقوموا بشكر هذه النعم؛ بمحبة المنعم و الخضوع له2-و صرفها في الاستعانة على طاعته،
3-و أن لا يستعان بشيء منها على معصيته.

(و)لكن مع توالي هذه النعم(وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن)لم يشكرها بل كفرهـــــــاو كفر بمن أنعم بها؛ و جحد الحق الذي أنزل به كتبه؛ و أرسل به رسله،

فجعل (يُجَٰدِلُ فِي ٱللَّهِ)يجادل عن الباطل؛ ليدحض به الحق و يدفع به ما جاء به الرسول من الأمر بعبادة اللّه وحده،و هذا المجادل على غير بصيرة، فليس جداله عن علم، فيترك و شأنه، و يسمح له في الكلام

(وَلَا هُدًى) يقتدي به بالمهتدين (وَلَا كِتَٰبٍ مُّنِيرٍ)مضيء –جداله في اللّه مبني على تقليد آباء غير مهتدين20

و لهذا قال:–(وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّبِعُواْ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ)على أيدي رسله، فإنه الحق، و بينت لهم أدلته الظاهرة

(قَالُواْ)معارضين ذلك:–(بَلۡ نَتَّبِعُ مَا وَجَدۡنَا عَلَيۡهِ ءَابَآءَنَآۚ)فلا نترك ما وجدنا عليه آباءنا لقول أحد كائنا من كان.

{أَوَلَوۡ كَانَ ٱلشَّيۡطَٰنُ يَدۡعُوهُمۡ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ}21

(وَمَن يُسۡلِمۡ وَجۡهَهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ)أي: يخضع له و ينقاد له بفعل الشرائع مخلصا له دينه.

(وَهُوَ مُحۡسِنٞ)1–في ذلك الإسلام بأن كان عمله مشروعا، قد اتبع فيه الرسول ﷺ.

2–أو: و من يسلم وجهه إلى اللّه، بفعل جميع العبادات، و هو محسن فيها،

بأن يعبد اللّه كأنه يراه، فإن لم يكن يراه، فإنه يراه.

3–أو و من يسلم وجهه إلى اللّه، بالقيام بحقوقه،و هو محسن إلى عباد اللّه، قائم بحقوقهم.

و المعاني متلازمة، لا فرق بينها إلا من جهة اختلاف مورد اللفظتين،

و إلا فكلها متفقة على القيام بجميع شرائع الدين على وجه تقبل به و تكمل، فمن فعل ذلك فقد أسلم

(فَقَدِ ٱسۡتَمۡسَكَ بِٱلۡعُرۡوَةِ ٱلۡوُثۡقَىٰۗ)التي من تمسك بها، توثق و نجا، و سلم من الهلاك، و فاز بكل خير.

(وَإِلَى ٱللَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلۡأُمُورِ)رجوعها و موئلها و منتهاها، فيحكم في عباده،و يجازيهم بما آلت إليه أعمالهم22

(وَمَن كَفَرَ فَلَا يَحۡزُنكَ كُفۡرُهُۥٓۚ)لأنك أديت ما عليك، من الدعوة و البلاغ،

فإن(إِلَيۡنَا مَرۡجِعُهُمۡ فَنُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوٓاْ) من كفرهم و عداوتهم، و سعيهم في إطفاء نور اللّه و أذى رسله.

(إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ)التي ما نطق بها الناطقون، فكيف بما ظهر، و كان شهادة ؟ 23

(نُمَتِّعُهُمۡ قَلِيلٗا)في الدنيا، ليزداد إثمهم، و يتوفر عذابهم،

(ثُمَّ نَضۡطَرُّهُمۡ)نلجئهم(إِلَىٰ عَذَابٍ غَلِيظٖ)انتهى في عظمه و كبره، و فظاعته، و ألمه، و شدته24

(وَلَئِن سَأَلۡتَهُم)و لئن سألت هؤلاء المشركين المكذبين بالحق

(مَّنۡ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ)لعلموا أن أصنامهم، ما خلقت شيئا من ذلك و لبادروا بقولهم الله الذي خلقهما

وحده(لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُۚ)فـــــ(قُلِ)لهم ملزما لهم، و محتجا عليهم بما أقروا به، على ما أنكروا:

(ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِۚ) الذي بيَّن النور،و أظهر الاستدلال عليكم من أنفسكم فلو كانوا يعلمون، لجزموا أن المنفرد بالخلق و التدبير، هو الذي يفرد بالعبادة و التوحيد.

(بَلۡ)و لكن(أَكۡثَرُهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ)

فلذلك أشركوا به غيره،و رضوا بتناقض ما ذهبوا إليه،على وجه الحيرة و الشك، لا على وجه البصيرة25

(لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ)ثم ذكر في هاتين الآيتين نموذجا من سعة أوصافه،

ليدعو عباده إلى معرفته، و محبته، و إخلاص الدين له. فذكر عموم ملكه،

و أن جميع ما في السماوات و الأرض –و هذا شامل لجميع العالم العلوي و السفلي – أنه ملكه،

يتصرف فيهم بـــــ:-1-أحكام الملك القدرية2-و أحكامه الأمرية3-و أحكامه الجزائية،

فكلهم عبيد مماليك، مدبرون مسخرون، ليس لهم من الملك شيء،

(إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡغَنِيُّ)و أنه واسع الغنى، فلا يحتاج إلى ما يحتاج إليه أحد من الخلق(ٱلۡحَمِيدُ)26

ثم أخبر عن سعة كلامه و عظمة قوله، بشرح يبلغ من القلوب كل مبلغ،و تنبهر له العقول، و تحير فيه الأفئدة و تسيح في معرفته أولو الألباب و البصائر فقال:-(وَلَوۡ أَنَّمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ مِن شَجَرَةٍ أَقۡلَٰمٞ)يكتب بها

(وَٱلۡبَحۡرُ يَمُدُّهُۥ مِنۢ بَعۡدِهِۦ سَبۡعَةُ أَبۡحُرٖ)مدادا يستمد بها، لتكسرت تلك الأقلام و لفني ذلك المداد

(مَّا نَفِدَتۡ كَلِمَٰتُ ٱللَّهِۚ) (إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٞ)له العزة جميعا، الذي ما في العالم العلوي و السفلي من القوة إلا منه، أعطاها للخلق، و بعزتـــــه:-قهر الخلق كلهم، و تصرف فيهم، و دبرهم،

و بحكمتــــــه:-خلق الخلق، و ابتدأه بالحكمة، و جعل غايته و المقصود منه الحكمة،

و كذلك الأمر و النهي وجد بالحكمة،و كانت غايته المقصودة الحكمة، فهو الحكيم في خلقه و أمره.27

(مَّا خَلۡقُكُمۡ وَلَا بَعۡثُكُمۡ إِلَّا كَنَفۡسٖ وَٰحِدَةٍۗ)و هذا شيء يحير العقول، إن خلق جميع الخلق – على كثرتهم و بعثهم بعد موتهم، بعد تفرقهم في لمحة واحدة – كخلقه نفسا واحدة، فلا وجه لاستبعاد البعث و النشور، و الجزاء على الأعمال، إلا الجهل بعظمة اللّه و قوة قدرته.

(إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعُۢ)لِأَقْوَالِهِمْ (بَصِيرٌ)بِأَفْعَالِهِمْ كَسَمْعِهِ وَ بَصَرِهِ بِالنِّسْبَةِ إِلَى نَفْسٍ وَاحِدَةٍ كَذَلِكَ قُدْرَتُهُ عَلَيْهِمْ كَقُدْرَتِهِ عَلَى نَفْسٍ وَاحِدَةٍ28

أَلَمۡ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يُولِجُ ٱلَّيۡلَ فِي ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِي ٱلَّيۡلِ وَسَخَّرَ ٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَۖ كُلّٞ يَجۡرِيٓ
إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمّٗى وَأَنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٞ ﴿٢٩﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدۡعُونَ مِن دُونِهِ ٱلۡبَٰطِلُ
وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡعَلِيُّ ٱلۡكَبِيرُ ﴿٣٠﴾ أَلَمۡ تَرَ أَنَّ ٱلۡفُلۡكَ تَجۡرِي فِي ٱلۡبَحۡرِ بِنِعۡمَتِ ٱللَّهِ لِيُرِيَكُم مِّنۡ ءَايَٰتِهِۦٓۚ
إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّكُلِّ صَبَّارٖ شَكُورٖ ﴿٣١﴾ وَإِذَا غَشِيَهُم مَّوۡجٞ كَٱلظُّلَلِ دَعَوُاْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ
فَلَمَّا نَجَّىٰهُمۡ إِلَى ٱلۡبَرِّ فَمِنۡهُم مُّقۡتَصِدٞۚ وَمَا يَجۡحَدُ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَّا كُلُّ خَتَّارٖ كَفُورٖ ﴿٣٢﴾
يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمۡ وَٱخۡشَوۡاْ يَوۡمٗا لَّا يَجۡزِي وَالِدٌ عَن وَلَدِهِۦ وَلَا مَوۡلُودٌ هُوَ جَازٍ عَن وَالِدِهِۦ شَيۡـًٔاۚ
إِنَّ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقّٞۖ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ ٱلۡغَرُورُ ﴿٣٣﴾
إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلۡمُ ٱلسَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ ٱلۡغَيۡثَ وَيَعۡلَمُ مَا فِي ٱلۡأَرۡحَامِۖ وَمَا تَدۡرِي نَفۡسٞ مَّاذَا تَكۡسِبُ غَدٗاۖ
وَمَا تَدۡرِي نَفۡسُۢ بِأَيِّ أَرۡضٖ تَمُوتُۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرُۢ ﴿٣٤﴾

(أَلَمۡ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يُولِجُ ٱلَّيۡلَ فِي ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِي ٱلَّيۡلِ)انفراده بالتصرف و التدبير، و سعة تصرفه بـــ:-
إيلاج الليل في النهار،و إيلاج النهار في الليل، إدخال أحدهما على الآخر، فإذا دخل أحدهما، ذهب الآخر.

(وَسَخَّرَ ٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَ)يجريان بتدبير و نظام، لم يختل منذ خلقهما،
ليقيم بذلك من مصالح العباد و منافعهم، في دينهم و دنياهم، ما به يعتبرون و ينتفعون.

(كُلّٞ)منهما (يَجۡرِيٓ إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمّٗى)إذا جاء ذلك الأجل، انقطع جريانهما، و تعطل سلطانهما،
و ذلك في يوم القيامة، حين تكور الشمس، و يخسف القمر،و تنتهي دار الدنيا، و تبتدئ الدار الآخرة.

(وَأَنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعۡمَلُونَ)من خير و شر(خَبِيرٞ)لا يخفى عليه شيء من ذلك،و سيجازيكم على تلك الأعمال29

(ذَٰلِكَ)الذي بين لكم من عظمته و صفاته ما بيَّن (بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡحَقُّ) في ذاته و في صفاته، و دينه حق،
و رسله حق، و وعده حق، و وعيده حق، و عبادته هي الحق.

(وَأَنَّ مَا يَدۡعُونَ مِن دُونِهِ ٱلۡبَٰطِلُ)في ذاته و صفاته، فلولا إيجاد اللّه له لما وجد و لولا إمداده لَمَا بَقِيَ،
فإذا كان باطلا كانت عبادته أبطل و أبطل.

(وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡعَلِيُّ)بذاته، فوق جميع مخلوقاته الذي علت صفاته، أن يقاس بها صفات أحد من الخلق،
و علا على الخلق فقهرهم

(ٱلۡكَبِيرُ) الذي له الكبرياء في ذاته و صفاته،و له الكبرياء في قلوب أهل السماء و الأرض. 30

(أَلَمۡ تَرَ)من آثار قدرته و رحمته، و عنايته بعباده (أَنَّ ٱلۡفُلۡكَ تَجۡرِي فِي ٱلۡبَحۡرِ بِنِعۡمَتِ ٱللَّهِ):-

سخر البحر، تجري فيه الفلك بأمره القدري و لطفه و إحسانه

(لِيُرِيَكُم مِّنۡ ءَايَٰتِهِۦٓ)ففيها الانتفاع و الاعتبار(إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّكُلِّ صَبَّارٖ)

على الضراء، صبار على طاعة اللّه و عن معصيته، و على أقداره،

(شَكُورٖ)على السراء، شكور للّه، على نعمه الدينية و الدنيوية 31

(وَإِذَا غَشِيَهُم مَّوۡجٞ كَٱلظُّلَلِ) كَالْجِبَالِ وَ الْغَمَامِ(دَعَوُاْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ)الدعاء

و ذكر تعالى حال الناس،عند ركوبهم البحر،و غشيان الأمواج كالظلل فوقهم، أنهم يخلصون الدعاء للّه

و العبادة:-(فَلَمَّا نَجَّىٰهُمۡ إِلَى ٱلۡبَرِّ) انقسموا فريقين:-

1-(فَمِنۡهُم مُّقۡتَصِدٞۚ)فرقة مقتصدة، أي: لم تقم بشكر اللّه على وجه الكمال بل هم مذنبون ظالمون لأنفسهم.

فَالْمُقْتَصِدُ هَاهُنَا هُوَ:-الْمُتَوَسِّطُ فِي الْعَمَلِ

ثُمَّ بَعْدَمَا أَنْعَمَ عَلَيْهِ مِنَ الْخَلَاصِ، كَانَ يَنْبَغِي أَنْ يُقَابِلَ ذَلِكَ بِـ:-الْعَمَلِ التَّامِّ،وَ الدُّؤُوبِ فِي الْعِبَادَةِ، وَ الْمُبَادَرَةِ إِلَى الْخَيْرَاتِ. فَمَنِ اقْتَصَدَ بَعْدَ ذَلِكَ كَانَ مُقَصِّرًا وَ الْحَالَةُ هَذِهِ، وَ اللَّهُ أَعْلَمُ.

2-و فرقة كافرة بنعمة اللّه، جاحدة لها،و لهذا قال: -

(وَمَا يَجۡحَدُ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَّا كُلُّ خَتَّارٖ)غدار، و من غدره، أنه عاهد ربه، لئن أنجيتنا من البحر و شدته:-

لنكونن من الشاكرين، فغدر و لم يف بذلك

(كَفُورٖ)بنعم اللّه.فهل يليق بمن نجاهم اللّه من هذه الشدة، إلا القيام التام بشكر نعم اللّه؟ 32

(يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمۡ وَٱخۡشَوۡاْ يَوۡمٗا)يأمر تعالى الناس بتقواه، التي هي امتثال أوامره، و ترك زواجره،

و يستلفتهم لخشية يوم القيامة، اليوم الشديد الذي فيه كل أحد لا يهمه إلا نفسه

فــــــ(لَّا يَجۡزِي وَالِدٌ عَن وَلَدِهِۦ وَلَا مَوۡلُودٌ هُوَ جَازٍ عَن وَالِدِهِۦ شَيۡـًٔاۚ)لَوْ أَرَادَ أَنْ يَفْدِيَهُ بِنَفْسِهِ لَمَا قُبِلَ مِنْهُ.

وَ كَذَلِكَ الْوَلَدُ لَوْ أَرَادَ فِدَاءَ وَالِدِهِ بِنَفْسِهِ لَمْ يُتَقَبَّلْ مِنْهُ- لا يزيد في حسناته و لا ينقص من سيئاته،

قد تم على كل عبد عمله، و تحقق عليه جزاؤه. فلفت النظر في هذا لهذا اليوم المهيل،

مما يقوي العبد و يسهّل عليه تقوى اللّه، و هذا من رحمة اللّه بالعباد، يأمرهم بتقواه التي فيها سعادتهم،

و يعدهم عليها الثواب، و يحذرهم من العقاب، و يزعجهم إليه بالمواعظ و المخوفات، فلك الحمد يا رب العالمين.

(إِنَّ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقّٞۖ)فلا تمتروا فيه، و لا تعملوا عمل غير المصدق،

فلهذا قال: (فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَا)بزينتها و زخارفها و ما فيها من الفتن و المحن.

(وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ ٱلۡغَرُورُ)الذي هو الشيطان،الذي ما زال يخدع الإنسان و لا يغفل عنه في جميع الأوقات

و من أعظم العوائـــــق عنه و القواطـــــع دونه:-

1-الدنيــــــا الفتانة2-و الشيطان الموسوس الْمُسَوِّل

فنهى تعالى عباده، أن تغرهم الدنيا، أو يغرهم باللّه الغرور33

(إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلۡمُ ٱلسَّاعَةِ)أي: يعلم متى مرساها(وَيُنَزِّلُ ٱلۡغَيۡثَ)هو المنفرد بإنزاله، و علم وقت نزوله

(وَيَعۡلَمُ مَا فِي ٱلۡأَرۡحَامِۖ)فهو الذي أنشأ ما فيها، و علم ما هو، هل هو ذكر أم أنثى،

و لهذا يسأل الملك الموكل بالأرحام ربه: هل هو ذكر أم أنثى؟ فيقضي اللّه ما يشاء.

***فَلَا يَعْلَمُ أَحَدٌ مَا فِي الْأَرْحَامِ، أَذَكَرٌ أَمْ أُنْثَى، أَحْمَرُ أَوْ أَسْوَدُ، وَ مَا هُوَ

(وَمَا تَدۡرِي نَفۡسٞ مَّاذَا تَكۡسِبُ غَدٗاۖ)من كسب دينها و دنياها- أَخَيْرٌ أَمْ شَرٌّ،

(وَمَا تَدۡرِي نَفۡسُۢ بِأَيِّ أَرۡضٖ تَمُوتُۚ)لَيْسَ أَحَدٌ مِنَ النَّاسِ يَدْرِي أَيْنَ مَضْجَعُهُ مِنَ الْأَرْضِ، أَفِي بَحْرٍ أَمْ بَرٍّ، أَوْ سَهْلٍ أَوْ جَبَلٍ؟ بل اللّه تعالى، هو المختص بعلم ذلك جميعه.

*** صحيح البخاري 7379 -عَنِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، عَنِ النَّبِيِّ ﷺقَالَ:

مَفَاتِيحُ الغَيْبِ خَمْسٌ، لاَ يَعْلَمُهَا إِلَّا اللَّهُ: 1-لاَ يَعْلَمُ مَا تَغِيضُ الأَرْحَامُ إِلَّا اللَّهُ2-وَ لاَ يَعْلَمُ مَا فِي غَدٍ إِلَّا اللَّهُ
3-وَ لاَ يَعْلَمُ مَتَى يَأْتِي المَطَرُ أَحَدٌ إِلَّا اللَّهُ4-وَ لاَ تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِلَّا اللَّهُ
5-وَ لاَ يَعْلَمُ مَتَى تَقُومُ السَّاعَةُ إِلَّا اللَّهُ

-و لما خصص هذه الأشياء، عمم علمه بجميع الأشياء فقال: (إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرُۢ)

محيط بالظواهر و البواطن، و الخفايا و الخبايا، و السرائر

-و من حكمته التامة:-

أن أخفى علم هذه الخمسة عن العباد،لأن في ذلك من المصالح ما لا يخفى على من تدبر ذلك.34